يحيى بن يعمر

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[23]

يحيى بن يعمر

يحيى بن يعمر

نسبه:

هو: يحيى بن يعمر الليثي العدواني الوشقي النحوي البصري.

من بنى كنانة، وكان من أهل البصرة، وكان حلفًا لبني ليث.

كنيته:

يكنى: أبا سليمان.

وقيل:

يكنى: أبا سعيد.

كان تابعيًا.

لقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم -، ولقى غيرهما من الصحابة.

أحد قراء البصرة وعنه أخذ عبد الله بن أبي إسحاق القراءة.

انتقل إلى خراسان.

تولى قضاء مرو.

كان عالمًا بالقرآن والنحو ولغات العرب.

أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي.

أول من نقط المصاحف.

كان من فضلاء الناس وعلمائهم.

عابد:

قال يحيى بن يعمر:

بلغنا عن بعض السلف أنه قال:

مضيت إلى جبل اللكام - بضم اللام وتشديد الكاف ويجور تخفيفها: وهو جبل مشرف على أنطاكية وما حولها من الثغور - فما

رأيت أعبد من شراب أصفر اللون.

كان يصف قدميه فيصلي ركعتين من أول الليل إلى آخره فيختم فيهما القرآن.

ثم يجلس فيعتذر إلى الصباح.

دعاني من هو خير منك:

قال يحيى بن يعمر:

حجَّ الحجاج بن يوسف فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة، ودعا بالغداء، وقال لحاجبه:

- انظر من يتغدى معي، واسأله عن بعض الأمر.

فنظر نحو الجبل فبصر أعرابيًا نائمًا، فاقترب منه وضربه برجله وقال:

- قم إئت الأمير.

فأتاه.

فقال له الحجاج:

- اغسل يديك وتغدى معي.

فقال الأعرابي:

- إنه دعاني من هو خير منك فأجبته.

قال الحجاج:

- من هو؟

قال الأعرابي:

- الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فصمت.

فقال الحجاج:

- في هذا الحر الشديد؟

قال الأعرابي:

- نعم صمت ليوم أشد حرًا من هذا اليوم.

قال الحجاج:

- فلفطر وصم غدًا.

قال الأعرابي:

- إن ضمنت لي البقاء إلى غد.

قال الحجاج:

- لبس ذاك لي.

فتساءل الأعرابي:

- فكيف تتوأمني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟

قال الحجاج:

- إنه طعام طيب.

قال الأعرابي:

- لم تطيبه أنت ولا الطباخ إنما طيبته العافية.

من جمع بين الحياء والسخاء:

قال يحيى بن يعمر:

أوصت امرأة من البادية ابنًا لها أراد سفرًا فقالت له:

- يا بني: أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك وإياك والنمائم - جمع نميمة، وهي: وسوا س همس الكلام، ويقوم به النمام أو الغماز أو الهماز - فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين.

ومثل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إمامًا.

واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء، فقد استجاد - استجاده:

عده جيدًا - الحلة إزارها ورداءها.

من أصحب؟

سأل رجل يحيى بن يعمر:

- من أصحب؟

قال يحيى بن يعمر:

- من لا تحتاج أن تكتمه شيئًا مما علمه الله منك.

فقال الرجل ليحيى بن يعمر:

- ما لك لا تسافر؟

قال يحيى بن يعمر:

- لأن صاحبي لا يسافر وأنا معه مقيم.

فقال الرجل:

- إن الماء القائم - قام الماء: ثبت متحيرًا لا يجد منفذًا فهو قائم إلى ركد ساكن - قد كره الوضوء منه.

قال يحيى بن يعمر:

- لم يروا بماء البحر بأسًا، هو الطهور ماؤه، الحلّ - الحلال - ميتته.

ثم قال يحيى بن يعمر:

- قد نرى الأنهار تجري لها دوي وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها وحدتها ولم يحس بها ماء البحر، ولا ظهرت فيه زيادة، ولا إن أخرجت منه استبان فيه.

الدنيا كلها سم وترياقها اسمي:

قال يحيى بن يعمر:

مرض موسى - عليه السلام - واشتدَّ وجع بطنه، فشكا إلى الله عز

وجل فدلَّه على **عشب** في المفازة، **وطلب منه أن يسمي الله ويأكله.**

فأكله كليم الله **فعفي بإذن الله.**

ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر، **فذهب إلى المفازة وأكل العشب دون أن يذكر اسم الله فازداد مرضه** فقال:

- يا رب: أكلته أولاً فأشفيت به، وأكلته ثانيًا فضررتني.

فقال الله عز وجل:

- لأنك في المرة الأولى ذهبت وتوكلت عليَّ فحصل فيه الشفاء، وفي الثانية: ذهبت منك ولم تتوكل عليَّ فا زداد المرض، أما علمت أن الدنيا كلها سم وترياقها اسمي؟

يا معروفًا بترك المعروف:

قال يحيى بن يعمر:

اسمع يا معروفًا بترك المعروف، يا من هو بكسب القبائح موصوف، إلى كم تعتق المماليك وأنت لا تعتق؟ وتطلق الأسار ي وأنت في أمر شهواتك موثق.

إذا لم تدرك فضيلة السبق، فالحق من سبق، **من عرف الله عز وجل عاش، ومن جهل حقائق المعرفة طاش.**

لله ما يقع في حقيقة الطاعة من له نفسٌ مطاعةٌ.

قال العزيز الحكيم: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾} [سورة النازعات الآيات: ٤٠ - ٤١].

{فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}: **هي المرجع والمقام له لا غيرها.**

لعلك تريد إهلاكه:

قال يحيى بن يعمر:

روى أن فرعونَ قبل أن يدعى الألوهية وأرسل إليه موسى - عليه

السلام - أمر أن يكتب باسم الله على بابه الخارج.

فلما ادّعى الألوهية وأرسل إليه كل من الله ودعاه فلم يرَ بِهِ أثر الرشد، فقال موسى - عليه السلام -:

- إلـهي، كم أدعوه ولا أرى به خيرًا.

فقال تعالى:

- يا موسى، لعلك تريد إهلاكه، أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على بابه.

من أقوال يحيى بن يعمر:

كان يحيى بن يعمر يقول:

* لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين أحب إليّ من حجة بعد حجة الإسلام.

* أصحب الناس كما تصحب النار، وخذ منها ما ينفعك، واحذر أن تحرقك.

* من أمر السنة على نفسه **نطق بالحكمة**، ومن أمر الهوى على نفسه **نطق بالبدعة**.

* ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره، أو مبتلى ببلية لينظر كيف صبره.

* من أهمته نفسه تبين ذلك عليه.

* لا يلهينّك الناس عن ذات نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم.

يحيى بن يعمر والطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي:

كان يحيى بن يعمر العَدَوَانِيّ أحد العلماء المتضلعين في علوم الشريعة والعربية، ومن أفاضل التابعين ، فقد شارك مشاركة مثمرة في غرس بذور النحو مع أبي الأسود، وكان من الشجاعة الأدبية في

الحق والجرأة الخلقية في مواجهة الطغيان بالمكان السامق والمنزل المرموق.

وقد شاء القدر أن يبتلى يحيى بن يعمر بالحجاج بن يوسف، فواجه وكابر وأدى دوره مرفوع الرأس عالي الجبين.

رأى الحجاج بن يوسف أن الكوفة تهيم حبًا بالحسين بن على وتجعل من ذكراه المؤسية منحدرًا للدمع ومصدعًا للزفير، وكافح الحجاج وجاهد في تبديد هذا الحب الوثيق ولكنه لم يستطع، وكان يعلم قرابة السبط الشهيد من خاتم الأنبياء ﷺ تجمع عليه القلوب وتضعه بين الجوانح والشغاف، ففكر الحجاج وقدَّر، ثم رأى أن **يعلن أن ريحانة رسول الله** ﷺ هو ابن على بن أبي طالب بن عبد المطلب وليس من ذرية محمد بن عبد الله ﷺ، لأن انتسابه لفاطمة الزهراء لا يغير من الأمر شيئًا، فالأب هو المعتبر في النسب، دون الأم على قول من قال:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وتحدَّث الحجاج في ذلك وأطال الحديث، وراح يتتبع معارضيه ومخالفيه سجنًا وتشريدًا، ويرسل عيونه - جواسيسه - في الكوفة ليأتوه بمعارض يصدر عن غير رأيه، فيجعل من عقابه رادعًا لغيره.

وجاءه الخبر أن يحيى بن يعمر سُئِل عن الحسين وانتمائه للمبعوث رحمة للعالمين ﷺ، فأجاب في المسجد الجامع:

- إن الحسين والحسن من ذرية رسول الله ﷺ، وأن الحجاج يحكم ولا يفتي، فإذا أفتى فعن غير علم واعتقاد.

ولم يعجب الحجاج بن يوسف ما بلغه عن يحيى بن يعمر، فهو يعرف جرأته وشجاعته وكثيرًا ما اصطدم معه في جدل مذهبي، فكان يحيى صاحب الحجَّة الفاصلة والمنطق الراجح دون أن تعصف

به رهبة أو يلين من ثباته.

وكان يحيى بن يعمر مسموع الكلمة، محترم الرأي، فإذا أفتى بما يعارض الحجاج، فقد تمكَّن من قلوب الناس، فذهبت دعوى الحجاج في الحسين بن على أباديد.

وأراد الطاغية أن يسكت صوت الحق عن طريق الدعاء والتعنت **فيلزم يحيى بن بعمر بنص واضح من القرآن يؤيد دعواه، ولكن ليس في القرآن منطق يثبت ذلك في منطق الحجاج، فإذا أعلن يحيى عجزه عن الاستشهاد بالقرآن فقد قامت عليه الحجَّة في رأي الجمهرة من العامة. وللحجاج بعد ذلك أن يتطاول على يحيى بن بعمر مستكثرًا بأمير المؤمنين والجبروت حتى يخذله خذلانًا لا نجح بعده هكذا قدر الطاغية وأراد.**

وتعجَّل الحجاج وعقد مجلسًا حاشدًا من أعوانه ووجهاء الكوفة، ودعا معهم بعض العلماء عامر الشعبي، سعيد بن جبير، الحسن البصري، وشيعة يحيى ومقدر ي علمه وفضله ليفتكشف أمامهم في المعمعة عجزه، فيضيع ما ينسب إليه من علم وثبات.

وأرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر ليتجرع كأس الهزيمة والانكسار، فلما قدم يحيى ألقى تحية الإسلام، ثم همَّ بالجلوس ولكن الحجاج صاح به:

- لا تقعد يا يحيى، وأوضح لنا رأيك في صلة الحسين بن رسول الله؟

فقال يحيى بن يعمر في اطمئنان وكبرياء وثبات:

- الحسين والحسن من ذرية رسول الله ﷺ وإن غضب الحجاج.

فصاح الحجاج متنمرًا متحفزًا:

- ألديك دليل من كتاب الله؟

فقال يحيى بن يعمر:

- معي الدليل من القرآن.

فضرب الحجاج كفًا بكف وقال متهكمًا:

- ما شاء الله، في القرآن أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله؟

لقد قرأته مئات المرات فما وجدت ما تقول يا رجل!

نظر يحيى بن يعمر في وجوه الحاضرين وقال في ثقة بالغة وإيمان وثبات:

قال تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾} [سورة الأنعام الآيات: ٨٣ - ٨٥].

ثم تطلع يحيى بن يعمر إلى الحاضرين وتساءل:

- أيكون عيسى ابن مريم من ذرية إبراهيم بنص القرآن ولا يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ وبينهما من القرابة الدانية أكثر مما بين عيسى وإبراهيم أيها الناس؟

اقتحمت وجه الحجاج قطعًا من الليل المظلم، فهل جاء يحيى بن يعمر بالدليل الصاعق القاصم واعتصم الحجاج بذكائه أيسعفه برد مضلل؟ ولكنه لم يستطع فتبسم في تصنع وقال:

- اجلس يا يحيى فقد فاتني هذا الاستنباط.

وأراد الحجاج أن يوارى حزنه وغيظه وفشله، فقال وهو يودع القوم:

- إن القرآن بحر لا ساحل له، وإن العربية الفصحى لا تتسلس قيادها لغير من يحفظ القرآن.

وأنه هو وحده الذي أمر يحيى بن يعمر أن يضع النقط على

حروف المصحف لتسهل سبيل الحفظ الدقيق والاستظهار الصحيح.

ورأى الحجاج أن يجامل يحيى بن يعمر فسأله:

- أتجدني ألحن في قولي يا ابن يعمر؟

فتبسم يحيى ابتسامة المتهكم وقال في لهجة ذات مغزى:

- **الأمير أفصح من ذلك.**

فاغتاظ الحجاج بن يوسف وصاح قائلاً:

- عزمت عليك: أتجدني ألحن؟

قال يحيى بن يعمر:

- نعم أيها الأمير.

فنظر الحجاج مبهورًا وقال:

- ألحن في أي شيء؟

قال يحيى بن يعمر:

- في كتاب الله.

فنهض الطاغية مغتاظًا وهو يقول:

- ذلك أسوأ لو كان، ففي أي حرف لحنت؟

فقال يحيى بن يعمر في تحدٍّ:

قرأت بالمسجد الجامع{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ} [سورة التوبة الآية: ٢٤].

فضممت الباء وهي مفتوحة.

فتغَّير وجه الحجاج بن يوسف، وحدثته نفسه أن يهم بيحيى بن يعمر، ولكن انهياره النفسي أورثه ترددًا لا عهد له به، ثم إنه خشي أن يصيبه

بسوء فيتناقل الناس في الأمصار قصة حجاجه في نسب ريحانة رسول الله ﷺ وينتهي إلى قصر دمشق عند أمير المؤمنين وما كان من تهوره حين جادل في أمر لا يقبل الجدل فمكن ل خصوم الدولة السفيانية من **الإنتصار.**

وأراد أحد الحاضرين أن يصرف الحديث إلى موضع آخر، فلأخذ يسأل الحجاج عن مدينة واسط التي شيدها الحجاج باذلاً جهده الجاهد في التعمير والتشييد فقال الحجاج ليحيى:

- لم نذكر لنا رأيك في مدينة واسط يا يحيى؟

فسكت يحيى بن يعمر ولم يرد، فعاد الحجاج يتساءل في غيظ:

- ما رأيك يا يحيى في مدينة واسط التي شيدتها؟

قال يحيى بن يعمر:

- ماذا أقول عن واسط وقد شيدتها من غير مالك، وسيسكنها غير أهلك.

ولم يعد في قوس الصبر لدى الحجاج من منزع، وتلهب جمر الغيظ في صدره فقال في انفعال:

- ما حملك على هذا؟

فقال يحيى بن يعمر:

- ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم ألا يكتموا الناس حديثًا

فلطرق الحجاج منخذ لاً وساد الصمت، وأراد الطاغية أن يقوم بعمل يرقذ خشيته فصاح في وجه يحيى بن يعمر:

- لا تساكرني ببلد أنا فيه فاذهب منفيًا إلى خراسان.

ولما ذهب يحيى بن يعمر إلى خراسان وجد صيته الطائر قد سبقه إلى هناك، وسأله سائل:

- ألم تخش سيف الحجاج؟

فقال يحيى بن يعمر في إيمان الواثق:

- لقد ملأني خشية الله فلم تدع مكانًا لخشية إنسان.

قالوا عن يحيى بن يعمر:

* قال خالد الحذاء:

كان لمحمد بن سيرين مصحف من قوط، رقَّطَه يحيى بن يعمر، وكان يرقط بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف.

* قال الأصمعي:

حدَّثنا أبي فقال:

كتب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو والي خراسان، إلى الحجاج بن يوسف أمير العراق كتابًا يقول فيه:

إنا لقينا العدو فاضطررناهم إلى عرض الجبل ونحن بالحضيض.

فقال الحجاج:

- ما لابن المهلب ولهذا الكلام؟

فقيل له:

- إن ابن يعمر عنده.

فقال الحجاج:

- فذاك إذًا.

وقال يونس بن حبيب:

كان يحيى بن يعمر يعمل الشعر وهو القائل:

أبى الأقوام بغض قومي :: قديمًا أبغض الناس السمينا

وفلة يحيى بن يعمر

توفى يحيى بن يعمر سنةتسع وعشرين ومائة للهجرة.

رحمه الله تعالى وبيَّض وجهه وألحقه بنبيه ﷺ.

* * *